

أثر تكييف المباني الدينية المحولة على القيم المعمارية للفضاء الداخلي والممارسات الطقسية فيها

عدي علي الجبوري

جامعة العلوم التطبيقية - قسم التصميم والفنون - مملكة البحرين

udai.al-juboori@asu.edu.bh / udai_juboori@yahoo.com

قدم للنشر في ٦/٣/١٤٤١ هـ؛ وقبل للنشر في ٢٤/٥/١٤٤١ هـ

ملخص البحث. تُعد المساجد والكنائس التي تركها المسلمون والمسيحيون من بين أهم المباني التراثية التي جرى تحويلها وتكيف استخدامها أثناء الاجتياحات المتعاقبة التي وقعت بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي؛ تلبيةً لقيم مختلفة حملتها كلتا الثقافتين. وقد اتخذت هذه التغيرات شكل تعديلات - إضافات وإزالة - على مبانٍ دينية قائمة وهو ما سمح لهذه المباني بخلق شعورٍ من الاستمرارية والانتماء لمجموعتها الجديدة - جنباً إلى جنب، مع مواصلتها بوصفها معلماً دائماً للذاكرة والمعنى والهوية. يركز النطاق الزمني للبحث على القرن السادس عشر الذي انتهت إليه عمليات تحويل المساجد إلى كنائس والعكس عبر فترات مختلفة في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، والتي تراوحت فيها التعديلات التي جرت على عمارتها الداخلية بين الحفاظ شبه الكامل والاستبدال الكامل، مستكشفاً عواقب هذا التحوّل على ممارسة الطقوس الدينية ضمن فضاءاتها. لقد أظهرت نتائج تحليل العينتين قيد الدراسة تغيراً في ممارسة الطقوس الدينية في بعض المباني تبعاً للتحويلات التي تمت على عمارتها الداخلية وهو ما يبرز دور العمارة بوصفه مشكلاً وناقلاً لثقافة المجتمع وعاداته.

الكلمات المفتاحية: تحويل، تكييف، الفضاء الداخلي، المباني الدينية.

١ . المقدمة

لقد لعبت الصراعات السياسية والدينية بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي دوراً في إعادة تكييف المباني وخاصة الدينية منها، إذ كانت المساجد والكنائس الرئيسة والكبيرة عرضة لتغيير الوظيفة الدينية لها بمجرد انتقال السيطرة عليها من جهة إلى أخرى، على الرغم من أن ضوابط هذا التغيير كانت تخضع لموجهات دينية أو اتفاقيات سياسية في بعض الأحيان. وتوفّر مساجد وكنائس منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط أمثلة عديدة، شكلت بمجمّلها شاهداً على تغيرات وصراعات ثقافية اجتاحت هذه الفترة، ودليلاً على الطرق المختلفة التي استخدمت في تكييف استخدام هذه المباني. وتعتبر كنيسة آيا صوفيا التي شيدت من قبل الإمبراطور جستنيان في ٥٣٢-٥٣٧م بوصفها كنيسة جديدة للقسطنطينية؛ من بين أشهر المباني التي تحولت إلى مسجد عندما سيطر عليها العثمانيون في عام ١٤٥٣م. في المقابل نجد تحويل مسجد قرطبة إلى كنيسة عام ١٢٣٦م عندما سقطت المدينة على يد فرناردو الثالث، ثم اتخذت معالمها المعروفة اليوم عام ١٥٢٣م بعد أن أدخل الأسقف دون ألونسو مانريكي تعديلات جوهرية على البناء ليتلاءم مع هيئة الكنائس المعروفة (Salim, 1986). تعتبر عمليات إعادة التكييف أو التأهيل هذه جزءاً من مفهوم الحفاظ، والتي تستهدف إجراء تغييرات ضمن المبنى تسمح له باستيعاب فعالية محددة. وعلى

الرغم من أن النظرة المعاصرة تصف عملية الحفاظ بكونها: «اتباع نهج حذر في التغيير بقدر الإمكان ولكن بأقل قدر ممكن» (ICOMOS, 2013)، لكن لم يكن هذا هو الحال دائماً خلال تاريخ المجتمعات، فقد خضعت هذه المباني لتعديلات بدرجات متفاوتة لكي تلائم المتطلبات الوظيفية والثقافية الجديدة، تراوحت بين إدخال أقل ما يمكن من تعديلات إلى إجراء تعديلات شاملة قد تؤدي إلى إزالة معالم المبنى بالكامل والإبقاء فقط على أساساته؛ كما هو الحال في تحويل الجامع الكبير في فالنسيا إلى كنيسة ١٢٣٨م (O'Callaghan, 2003). هذه التعديلات يتم النظر إليها على أنها أدوات لإظهار التراث المعماري، وانعكاس لطبيعة المجتمع وثقافته؛ لكونها تُعرف بالأشياء التي يعتبرها المجتمع قيمة لكي يحافظ عليها، وكيف سيفعل ذلك؟ ومن يتخذ القرار للقيام بالحفاظ؟ هذه القرارات تشكل تصورنا عن طبيعة ذلك المجتمع وكيف يتفاعل مع عمارته وتاريخه وممتلكاته؟ وفي هذا السياق يشير «اللواتي» إلى أن نظرة المسلمين للأشياء بوصفها قائمة بإرادة الله تدفعهم للنظر إلى المباني كأشياء سخرها لهم الله يمكنهم الاستفادة منها كيفما كان شكلها (Al-lawati, 1994)، بينما كانت الكنيسة أكثر صرامة في إجراء تغييرات جوهرية على البنية الشكلية للمساجد لتقترب أكثر من الطراز القوطي، حيث كانت المساجد المحولة إلى كنائس تكرس لمريم العذراء (O'Callaghan, 2003). هذه العمليات تثير تساؤلات حول القيم التي أثرت

المعمارية التي لازمتها في أغلب الأحيان وفق تنظيم محدد، ففي المساجد: كان التنظيم الفضائي ينقاد إلى جهة القبلة، إذ يتوجب على المصلي التوجه نحو الكعبة وهذا ما ترتب عليه انتظام المصلين في صفوف أمام جدار القبلة، وهو ما انعكس على ترتيب الفضاء الداخلي للمسجد (المصلى) بحيث يكون أقرب للمستطيل يحاذي ضلعه الطويل جهة القبلة (Waziri, 2008)، واحتوى جدار القبلة على المحراب والمتمثل بحنية في جدار القبلة (Ghalib, 1988) بعد أن كان الجدار نفسه معلماً لجهة القبلة، حيث ينقل يحيى وزيري على أن حائط القبلة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان من جذوع النخل وباقي جدرانها من الطوب اللبن، وهذا ما يستدعي تمييز حائط القبلة، بينما ظهر المحراب بشكله الحالي في وقت لاحق (Waziri, 2008). جاور المحراب عنصر آخر مهم هو المنبر الذي يتمثل بمكان مرتفع يستخدم للوعظ، بالإضافة إلى المقصورة (في الجامع أو المسجد الرئيس) وهي حجرة خاصة بالحاكم ومنها اشتق الاسم لأنها قصرت عليه وتكون في صدر المصلى. وارتبط داخل المبنى بخارجه بمجموعة من المداخل والنوافذ التي كانت في غير جهة القبلة، وفي الغالب كان الضلع الموازي للصحن يكون مفتوحاً بأكمله (Mohamed H, 2002).

أما الكنائس فقد جاء تنظيمها الفضائي بنمطين، الأول: نمط البازيليكا المستطيل مع أروقة جانبية، ويعتبر هذا هو الشكل النمطي للكنائس

على تكييف استخدام هذه المباني؟ وفيما إذا أثرت هذه التعديلات على الممارسات الطقسية فيها؟ حيث شكلت هذه التساؤلات محط اهتمام هذا البحث الذي استهدف الكشف عن أثر تكييف استخدام الفضاء الداخلي للكنائس والمساجد التي جرى تحويل وظيفتها، على الممارسات الطقسية الدينية التي تُقام فيها، بالمقارنة مع الممارسات الطقسية للمباني التي أنشئت بالأساس مسجداً أو كنيسة.

٢. عمارة المباني الدينية (المساجد والكنائس)

تعتبر المباني الدينية شكلاً من أشكال التنظيم الفضائي التي تعكس السمات الرئيسية لذلك المجتمع (Voordt, Vrielink & Wegen, 1997) والتي تعتمد استمراريتها على مدى نجاحها في تحقيق مجموعة من الوظائف المحتملة عوضاً عن وظيفة واحدة محددة (Hanson, 2003)، وهذا ما عكسه التنظيم الفضائي للمسجد الذي لائم وظائف الدراسة وممارسة الحكم إلى جانب الصلاة (Mohamed H, 2002)، وكذلك نجحت مخططات الكنائس في استضافة أحداث اجتماعية رئيسة مثل: الزواج، والتعميد، والجنائز والتي تحمل دلالاتها النفسية والاجتماعية الخاصة، وتخلق ارتباطاً عاطفياً قوياً (Londin, 2004). فالمباني الدينية تمثل مساحات عاش فيها أسلافنا وتعبدوا فيها، وهي تروي قصة أنماط حياتهم وأحداثها.

وفي العموم فقد تشكل الفضاء الداخلي للمساجد والكنائس من مجموعة من الوحدات

الاستخدام بوصفه «تغيير مكان ليناسب الاستخدام الحالي أو الاستخدام المقترح» (ICO- MOS,2013)، ويعتبره لاثام (Latham,2000) بأنه «أكثر من مجرد صيانة أو إعادة تأهيل خاصة لاستخدام جديد أو مستمر». فمع مرور الوقت قد تفقد المباني وظائفها الأصلية لأسباب مختلفة، منها التغييرات التي تحدث نتيجة الصراعات السياسية أو الدينية كما هو الحال في مباني المساجد والكنائس في حوض البحر الأبيض المتوسط، وهذه التعديلات يمكن أن تتضمن تعديلات خارجية وداخلية، وجمالية و/ أو وظيفية بحتة، كتعديل اتجاه الحركة والتوجيه والعلاقات والحدود المكانية، باعتبار أن الوظيفة تمثل سلسلة من الإجراءات البشرية المقترنة بالمعدات لتلبية متطلبات عملية محددة على أساس يومي داخل وحدة مكانية معينة (Reverson,2009)، تستند في ذلك إلى خصائص المبنى وموقعه وحالته الهيكلية (Kiley,2004) كما يلعب العامل الاقتصادي دوراً في تحديد ذلك.

تحتفظ تركيا بأمثلة عديدة على تكيف استخدام الكنائس بهدف اعتمادها مساجد للصلاة خلال العهد العثماني من خلال إضافة عناصر وتكييف أخرى بما يؤدي إلى تغيير الاستخدام. وكان أول العناصر الخارجية التي يمكن أن تقدم دليلاً على هذه التغييرات هو تحويل برج الكنيسة إلى مئذنة كما هو الحال في مسجد الساعة- Saat- li Camii المعروف بكنيسة Hagios Ioannes سابقاً، إذ اعتبرت المئذنة أول علامة ظاهرة على

البازليكية، حيث تحيط الأعمدة والأقواس من جهتين أو أربع بصحن الكنيسة (Pite,1878)، والنمط الثاني: هو نمط المخطط المتقاطعة بهيئة صليب (Ousterhout,2005). وفي كلا الحالتين يؤدي هذا التنظيم إلى توجيه جميع العيون إلى المذبح الذي يقع في أقصى نهاية الكنيسة (Ryan,2014) حيث يعتبر المذبح روح ومعنى الكنيسة، والذي يواجه صفوفاً من المقاعد الخشبية تسمى «Pew» يستخدمها المسيحيون الذين يصلون (McNamara,2009). كما يشمل الفضاء الداخلي للكنيسة منصة مرتفعة Pulpit بضع عتبات (تعرف باسم Ambo أيضاً وتقابل المنبر) يقام عليها قراءة الكتاب المقدس وتوجد إلى جانب المذبح (Ryan,2014).

هذه المكونات المعمارية للفضاء الداخلي الأساسية هي ما ساهم في توجيه التغييرات الوظيفية والشكلية في المساجد والكنائس بهدف تكيفها لأداء وظيفتها الدينية الجديدة، إذ ناسب هذا التحول طبيعة المبنى ذاته باعتبار كلا الديانتين يتوجهان لعبادة الله سبحانه وتعالى، بالإضافة إلى أن عملية التحويل هذه كانت دلالة على الهيمنة والسلطة الجديدة التي تحكم المنطقة، إذ كان يتم تحويل الكنائس الأقدس والأكبر ويُترك باقي الكنائس للمجتمعات المسيحية لأداء عباداتهم (Yildiz,2009).

٣. تكيف استخدام المساجد والكنائس

تُعرف الدراسات السابقة تكيف

مباني المساجد إلى كنائس من خلال إدخال تعديلات بمستويات مختلفة، بعضها استخدم بشكل مؤقت والآخر بشكل دائم. في عملية تجهيز المبنى بشكل مؤقت كان يتم نصب المذبح أمام الجدار الشرقي وتوضع الأجراس في المآذن. لقد وقعت مدينة Toledo عام ١٠٨٥م تحت سيطرة فرسان القشتالة، بعد أن تم الاتفاق بين الملك ألفونسو السادس Alfonso VI والمسلمين على تسليم المدينة بما فيها القلعة والحدائق الملكية في مقابل احترام بقاء المسجد الكبير بوظيفته مسجداً للمسلمين. لكن تم نقض هذا العهد لاحقاً بأمر من رئيس أساقفة سديريك Archbish-op Sedirac بعد سنتين من ذلك الاتفاق. وتم حينها تدوير اتجاه المبنى بمقدار تسعين درجة ووضع المذبح أمام الجدار الشرقي، وبعد ١٣٠ عام حلت محله كاتدرائية قوطية (Lomax, 1978). في الحقيقة لم يتبق من المسجد سوى بضعة أعمدة وتيجان استخدمت في تقسيمات الجوقة، وأثر أسس المسجد التي جعلت من الفضاء الداخلي واسعاً بشكل أكثر من المعتاد. أما في قرطبة فقد كان مستوى التعديلات التي أدخلت على المبنى لتكييفه لأداء الفعاليات الكنسية أقل من ذلك، حتى عام ١٤٨٩ عندما قام المطران إنجيلو ماتريك Bishop Inigo Man-rique بهدم أعمدة وعقود الفضاءات الخمسة الممتدة من موقع كنيسة فيلافيوسا القديمة إلى الجدار الغربي، وأسّس جدارين طولين بهدف عمل قاعة طويلة مغطاة بالعقود (Salim, 1986)

تفريق الكنيسة عن المسجد خلال تلك الفترة، لذلك كان يجري إضافتها لمبنى الكنيسة المحول إلى مسجد، واعتبرت العنصر الأكثر كلفة في عملية تكييف الكنيسة لاستخدامها مسجداً (Güney, 2016). أما من الداخل فقد استلزم تكييف الفضاء الداخلي تحديد جهة القبلة أولاً من خلال إيجاد المحراب ثم تحديد صفوف المصلين من وراء الإمام (Kleinbauer & White, 2004)، ففي مساجد مثل سينارلي Cinarli (كنيسة آيا جورجياس Hagia Georgias سابقاً) ومسجد الساعة Saatli Camii تم وضع المحراب على الذراع الجنوبي (Güney, 2016) وغطيت الأرضيات بالسجاد بعد أن أزيلت الكراسي من فضاء الكنيسة لتكييف الفضاء لاستخدامه مُصلّى. كما جرى إضافة عنصر أساس للفضاء الداخلي للمسجد وهو المنبر (Frishman & Khan, 2002). وفي أحيان أخرى جرى تكييف Ambo الكنيسة ليستخدم منبراً كما هو الحال مع مسجد سنريل (Cinarli) في تركيا (Güney, 2016). بالإضافة إلى ذلك أزيلت الرسومات الدينية والرسومات التي تظهر فيها صور بشرية أو حيوانية من خلال تغطيتها بالجبس الأبيض في الغالب وهو ما ساهم بالحفاظ عليها لسنوات طويلة، وفي بعض الأحيان الأخرى استعيض عنها بالخطوط والنصوص القرآنية التي استخدمت في العادة لتزيين المباني الإسلامية (Grabar, 1998).

وعلى الناحية الغربية من البحر المتوسط تقدم إسبانيا أمثلة عديدة على عمليات تكييف

بين الكنائس على حسب طريقة دخول مدنها، إن كانت فتحت بالصلح أو بالعنوة. فما فتح صلحاً فهو على ما صولح عليه أهله، وما فتح بالعنوة فلإمام الخيار في إبقاء مبنى الكنيسة على ما هو عليه أو تحويله إلى مسجد (Dbor, 2015). بينما اعتقدت الكنيسة أنه من المشين أن يحتفظ المسلمون بالمسجد الكبير (O>Callaghan, 1983). ومن ثم دفعهم هذا الموقف إلى نقض المواثيق التي تم بموجبها الصلح مع المسلمين وتحويل المساجد إلى كنائس، وهذا يشير إلى أهمية القيم التي يحملها المجتمع في التأثير على قرارات الحفاظ والتعديل والهدم.

٤. القيم المعتمدة في إعادة التكييف والتحويل

لقد سعى الحكام الجدد على الأراضي إلى الاستيلاء على المباني وجعلها ملكاً لهم من خلال تجريد المعنى الموروث ثقافياً من الشكل وإنشاء معنى جديد له (Ricoeur, 1965)، هذه العملية تستلزم تعاملًا مع القيم المختلفة التي تحملها هذه المباني لمجتمعها والتي تتراوح بحسب فيلدن (Feilden, 1994) بين قيم عاطفية، وقيم ثقافية، وأخرى تتعلق بقيمة الاستخدام، حيث تُعرف القيم العاطفية من خلال مقدار الإعجاب والفضول الذي يثيره لدى الناس، ومدى فهم الناس لخلفيته التاريخية، ومقدار الارتباط العاطفي والروحي بالمبنى. وتشير القيم الثقافية إلى القيمة التاريخية للمبنى وعمره، وخصائصه المعمارية والبنائية، وموقعه ضمن

تغطي مكان الجوقة والمذبح الذي وضع هناك. وهكذا تم إنشاء الكنيسة بوصفها جزيرة بين أعمدة وعقود مسجد قرطبة الممتدة عبر فضاءه الداخلي الواسع. وفي العموم كانت الكنائس التي أنشئت على أساس المساجد تتميز بفضاء داخلي يمتد واسعاً عبر حدود البناء المستطيل الشكل القائم على أساس المسجد الذي يكون في العادة مستطيل الشكل، وهذا يظهر بوضوح في مسجد أشبيلية الكبير الذي تحول لاحقاً إلى كنيسة مريم العذراء (Virgin Mary) بهيئته المستطيلة الهائلة (٦٠٠x٥٠٠ قدم) ومن دون أن يكون لها مذبح واضح في طرفها الشرقي (Gade, 2010). وفي حالات أخرى من عمليات تحويل المساجد إلى كنائس تجاوزت عملية تكييف الوظيفة حدود البنية القائمة لتشمل بناء إضافياً أو هدم وإعادة البناء على الأساسات (كما في توليدو)، ويمكن تفسير إدخال الكنيسة تعديلات كبيرة على مبنى المسجد لتحويله إلى كنيسة بأنه رغبة منها في إزالة أثر المسجد، إذ اعتبر وجود المسجد (أو أثره) بحد ذاته متعارضاً مع القيم الكنسية الكاثوليكية والبروتستانتية (Lueg, 2011) التي تنظر لمبنى الكنيسة بوصفه مكاناً مقدساً. فضلاً عن أن إدراك الوظيفة مهم بالنسبة لهوية المكان (بحسب Proshansky).

إن من الواضح أن عمليات تكييف المساجد والكنائس تخضع لاعتبارات وقيم ثقافية مختلفة تساهم في تحديد مقدار التعديلات التي يتم إدخالها ومتى يتم ذلك. فالدين الإسلامي يميز

المدينة والمحيط البيئي، ومدى جماليته. بينما ترتبط قيمة الاستخدام بالوظيفة الأصلية التي أنشئ من أجلها المبنى وقيمه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وهذا يعني أن هناك مباني يكون من الأسهل إعادة استخدامها مقارنة بالأخرى (Kiley,2004) ومباني يكون تحويلها ذا تأثير أكبر على المجتمع القديم والحديد - المستوي - والمباني الدينية وفق هذا المنظور سوف تمتلك العديد من القيم، فهي أماكن ذات قيمة ترتبط بالاستخدام، وبطابعها المعماري، وقيماتها الرمزية والروحية أيضاً. وهي كذلك أماكن للذاكرة حيث يتذكر المجتمع أحداثاً معينة ارتبطت بها حياتهم، وهذا ما يولد قيمة عاطفية كبيرة تؤدي إلى أن تشكل هذه المباني أماكن دالة على هوية المجتمع وهوية المكان، إذ يشير بروشانسكي (Proshansky) إلى أن الإدراك المادي المتعلق بـ «الماضي البيئي - environ- mental past» للشخص، الذي يتكون من الأماكن والفضاءات وخصائصها التي ساهمت بشكل فعال في تلبية الاحتياجات البيولوجية والنفسية والاجتماعية والثقافية للشخص، هو ما يمنح هوية للمكان وقيمة لدى المجتمع (Proshansky & Fabian,1983). ومن ثم فإن عملية تحويل المساجد إلى كنائس والعكس تولد نوعاً من التوتر وتخلق مساحة ثقافية بينية لا تنتمي إلى أي من الثقافتين، إذ يعكس الهدف المراد تحقيقه من عملية التحويل بتملك المبنى ونقله إلى الثقافة المنتصرة؛ يتشكل عنصر مستقل عن كلا الثقافتين، وهو ما يسمح بالاستمرارية وعدم الاستمرارية في آن واحد

من هنا يتضح أن المعالم التاريخية والمعمارية الدينية تلعب دوراً محورياً في المجتمع، إذ تشكل صورة ملموسة عن الذاكرة والهوية والعاطفة، وتحتل أهمية كبيرة من ضمن مجموعة القيم المؤثرة. لذلك سيركز البحث على دراسة هذا النوع من التعديلات التي تستند إلى قيم الفضاء المعماري بهدف تكييف المبنى للاستخدام الديني الجديد.

٥. القيم المعمارية للفضاء الداخلي لعمارة المساجد والكنائس

تضم المساجد والكنائس بين جدرانها فضاء وصفه أرسطو بأنه بالضرورة أجوف، محدد خارجياً ومملوء داخلياً يهدف إلى إثارة مشاعر معينة وردود فعل لدى الأشخاص الذين يدخلونه، هذا الفضاء يشكل ساحة للمعماريين والبنائين للقيام بنشاطاتهم التي تسمح للمستخدمين بممارسة فعاليتهم وطقوسهم، وتترك بصمة في ذاكرتهم وتاريخهم تربطهم عاطفياً به. هذه الأنشطة ترتبط باستخدامات المبنى، والتعرف المكاني للفضاء، والعمق الفضائي، وانفتاحية الفضاء والإضاءة الطبيعية (Meiss,1998,Unwin,1997).

١, ٥ الاستخدام

تكمن الوظيفة الأساسية للمبنى الديني في تفسير الفكر الديني والتعبير عنه بشكل ملموس من خلال توفير بيئة داخلية لممارسة الطقوس

قدر من المعنى لحياته، وهذا يعني أن المساجد والكنائس ترمز فعلياً إلى المصلين الذين يتبعون أسلوب حياة محدداً وأن زيارتهم لهذه الأماكن تعني تأكيداً لهويتهم هذه (Mazumdar,2004).

٢, ٥ التعريف المكاني للفضاء

لقد نُظر للفضاء عبر التاريخ إما كوسيلة خالية قابلة للامتلاء، أو ككيان يتم خلقه بواسطة الأشياء ويحصل إدراكه من خلال العلاقة بينه وبين الأشياء القابلة للإدراك ضمنه (Arn-heim,1974)، حيث اعتبر أن الفضاء في البداية قابل للتعريف من خلال حجمه وتناسبه (Krier,1988)، وشكلت فكرة الاحتواء والإحاطة أبرز خصائص العمارة التاريخية (Schulz,1980)، فالفضاء المعماري يتعرف من خلال العلاقة بين الأشياء المحسوسة التي تشكل مساعداً لإدراك ما هو غير ملموس (الفضاء)، مشكّلة ما يُعرف بحدود الفضاء والتي يمكن أن تكون عناصر واضحة كجدران مستمرة أو متقطعة، أو قد تكون إشارات متفرقة (كعمود، أو شجرة، أو ما شابه) يمكن أن تترك انطباعاً بحدود تُعرف الفضاء (Meiss,1998)، وفي العموم نجد أن هذه الحدود كلما اتضحت أكبر زاد إحساسنا بالوجود بالداخل، لأن هذه الحدود تساهم في تقييد حركتنا، فنحن نتعرض لقوة ضمن الفضاء الداخلي، بينما في الخارج نحن لا نتعرض لهذه القوة وحركتنا ليست مقيدة بتلك الحدود (Franck & Lepori,2000). وهكذا تدريجياً تغيرت النظرة للفضاء بوصفه تجويفاً يُعرف

الدينية، من هنا تعتبر عملية دعم المبنى للأنشطة التي تقام ضمنه من خلال تنظيم العلاقات المكانية والتقسيم الوظيفي، وتوجيه مسارات المستخدمين؛ صفة لتحقيق وظيفة المبنى (Voordt, Vrieling & Wegen,1997) والغرض الذي أنشئ من أجله، كما على المبنى أن يدعم الوظيفة الرمزية من خلال عناصر العمارة كتوظيف استخدام الضوء في الفضاء الداخلي، وأخيراً يتوقع من المبنى أن يدعم التمثيل البصري للمفاهيم الدينية بما فيها توظيف الرسومات والنقوش (Barrie,1996).

فعلى المساجد أن توفر الفرصة للمسلمين للاجتماع وأداء الصلوات، بالإضافة إلى الاجتماع لخطبة وصلاة الجمعة، فضلاً عن وظيفتها الاجتماعية ومساهمتها في ربط المجتمع بعضه بالآخر، من خلال أداء طقوس دينية جماعية بانتظام. بينما تمتد وظيفة الكنيسة لتشمل وظائف دينوية إلى جانب الوظائف الدينية كمراسم الزواج أو التأبين (Frishman & Khan,2002; Ak-kach,2003) حيث يعتبر مبنى الكنيسة مكاناً مقدساً (بحسب المعتقدات الكاثوليكية) يشكل فضاء يمكن للمرء أن يكون له صلة بالله ذاته، بالإضافة إلى ذلك، فإن على الكنيسة أن تتعامل مع مجموعة كاملة من القيم العاطفية، والرموز الأخلاقية، والتقاليد الراسخة، التي تترك آثارها على مستقبل المبنى. وفي كلا الحالتين فإن وظيفة المبنى الديني تمتد إلى تعليم الفرد السلوك الذي يتوجب على الفرد تبنيّه وتحديد دوره في الحياة ومدى أهمية أدائه لهذا الدور، ومن ثم توفير

حركة نحو الخلاص والتكفير والراحة الأبدية في الجنة. كما يمكن للتداخل الفضائي Spatial In-terposition أن يولد إحساساً بالعمق حيث تحجب الفضاءات المتعاقبة بعضها الآخر وهو ما يولد عمقاً وتشويقاً يشجع المتلقي على استكشاف العمق الفضائي (Kurtich & Eakin, 1993).

٤, ٥ انفتاحية الفضاء والإضاءة الطبيعية

تقوم الفتحات بتوفير فرصة التواصل بين الداخل والخارج، إذ تعتبر الأبواب والنوافذ مصدراً للضوء والهواء (Meiss, 1998)، إلى جانب قيامها بوظيفة جمالية تستحق أن ينظر إليها بحد ذاتها (Plummer, 1997). وبها يتلمس الناس الإحساس بالضيقة والظلمة أو بالاتساع والرحابة، أو بالخشوع والرهبنة، فهي تحفز وعينا بالفضاء (Krier, 1988). فالضوء يمكن أن يحكي قصة ويولد معاني واستعارات لدراما الحياة (Malnar & Vodvarka, 1992) من خلال تشكيلاته المختلفة التي تؤطرها الفتحات ضمن جدران وسقف المبنى وهو ما يولد الغموض والوضوح عبر التلاعب بالضوء على السطوح (Phillips, 2004). فالإضاءات من الجانب تعطي تأثيراً ناعماً للأجسام والأسطح، والإضاءات من الأعلى تولد إحساساً دراماتيكياً (Ander, 2003). وفي سياق المباني الدينية سواء المساجد أو الكنائس كان للضوء والمعاني المرتبطة به دور مركزي، فقد أشار ستيجرز (Stegers) في دراسته «Sacred Buildings» حول المباني الدينية إلى أنها تشجع الشعور الجماعي في

من خلال الطول والعرض والارتفاع، لصالح النظرة التي ترى أن الفضاء تغليف للعلاقة بين الأشياء، ومن ثم فهو يُعرف من خلال الفعالية التي تحدث ضمنه (Malnar & Vodvarka, 1992).

٣, ٥ عمق الفضاء

يمكن ملاحظة أن للفضاء مستويات عمق مختلفة، حيث يُمثل تداخل الأجسام الدلالة الأكثر قوة لإدراك العمق، فإن اختفى جزء من جسم موضوع في حقل النظر بواسطة آخر يظهر للعين ضمن التجاور المكاني سيتم إدراكه على أنه الجسم الأبعد وأنه يفصل عن الآخر بمسافة ما (Porter, 1997)، ومع وجود ظاهرة المنظور يتشكل لدى المتلقي تصور ثلاثي الأبعاد يدرك من خلاله العمق (Kurtich & Eakin, 1993)، وهذان المؤثران، كما يقول ميس (Meiss, 1998)، يلعبان الدور الأكبر في إدراك العمق. إن معظم الكنائس تستثمر في تنظيم الحيز الداخلي بحيث يتم تركيز المنظور نحو المذبح، فأينما تقف في فضاء الكنيسة تجد نظرك ينشد باتجاه المذبح، وحتى أن الأحداث داخل فضاء الكنيسة تجري على طول محور المنظور الرئيس (المحور الرئيس) حيث يتحرك الرهبان ومساعدوهم جيئةً وذهاباً على هذا المحور. بالإضافة إلى ذلك يتشكل عمق من نوع آخر للفضاء يُعرف بالفضاء التخيلي Imaging Space الذي يتشكل في الذهن نتيجة تتابع الصور على العين (Abu Dayyeh, 1997) وبصيغة تنسجم مع نظرة المسيحية للحياة القائمة على كونها

المباني الدينية التي جرى تحويلها من مساجد إلى كنائس وبالعكس. تمثل الحالة الأولى مبنى كنيسة تحول إلى مسجد، وهي كنيسة The Cathedral of St. Nicholas في المدينة الأثرية في فاماغوستا Walled-City Famagusta قبرص، والتي يعود تاريخ بنائها إلى القرن الرابع عشر الميلادي - حوالي ١٣٠٠ م - بتصميم يشابه كاتدرائية Reims في باريس على الطراز الغوطي (Folda,2005)، وكانت مكاناً لتتويج ملوك لوسينيان Lusignan ملوكاً على القدس، وتحولت إلى مسجد على يد العثمانيين بعد فتح المدينة في القرن السادس عشر - حوالي عام ١٥٧٠ م - (Enlard,1987). ودراسة الحالة الثانية هي لمسجد قرطبة الكبير في إسبانيا الذي تحول إلى كاتدرائية سانتا ماريا Cathedral de Santa Maria خلال القرن السادس عشر. وبنى الجامع عبد الرحمن الداخل واكتمل بأسواره عام ٧٨٦م، وشهد مراحل عدة من التوسعة على يد الأمراء المتتابعين، لينتهي عهد المبنى بوصفه مسجداً في عام ١٢٣٦م، ويتحول إلى كاتدرائية عندما سقطت قرطبة على يد فرناندو الثالث، وفي عام ١٥٢٣م قام القس دون الفونسو مانريكي بهدم جزء كبير من توسعة عبد الرحمن الأوسط والمنصور لإقامة كاتدرائية غوطية الطراز وسط المسجد (Salim,1986).

يتيح هذا التحديد التعمق بدراسة الحالة التي تضم العديد من المتغيرات والعوامل المرتبطة معاً، حيث يعتبر هذا المنهج مناسباً لهذا النوع من الدراسات (Fidel,1984). يتم جمع البيانات

أداء الصلاة (Stegers,2008)، بالإضافة إلى مساهمتها الرمزية في الكنائس على وجه الخصوص، فالمصلون في الكنيسة سوف يتطلعون إلى النور وسيستشعرون وقوفهم في حضور الله (Antonakaki,2007). وقد وصفته بعض الكاتدرائيات للدلالة على رموز معينة كما في فتحة الضوء بهيئة صليب في الكنائس الإنجيلية، أو بشكل عمدة أو حزم من الضوء كما في تصميم فتحات الضوء في الضلع الجنوبي للكاتدرائيات الكبيرة (Phillips,2004). وفي كنيسة الرُّسل المقدسة (Holy Apostles) التي تحولت إلى مسجد في العهد العثماني ثم عادت كنيسة لاحقاً، وُظف الضوء للدلالة على حدث تاريخي معين، إذ يشير بعض الدراسات إلى أن توجيه الكنيسة ١١٢ درجة شمالاً سمح للحاجز الأيسر للنافذة المركزية أن يقع على خط واحد مع المذبح في يوم ١٥ آب يوم صعود العذراء. بينما نجد توزيعاً متساوياً للضوء في المساجد لتساوي جميع مواقع المسجد من حيث إنها أماكن للصلاة بالقدر نفسه، كذلك فإن وظيفة تعليم القرآن تطلب مثل هذا التوزيع أيضاً (Antonakaki,2007).

٦. حدود الدراسة ومنهجها

سوف تركز هذه الدراسة على حالتين دراسيتين تُعدان من أبرز وأشهر الكنائس والمساجد التي تم تحويل وظيفتها خلال القرن السادس عشر الميلادي في منطقة البحر الأبيض المتوسط والتي تم وضعها على قائمة التراث العالمي لليونسكو باعتبارها تضم أكبر عدد من

١, ٦ دراسة الحالة

تركز دراسة الحالة على تحليل القيم المعمارية للفضاء الداخلي بشكل أساس (الجدول رقم ١)، والتي تشمل: قيمة التعريف المكاني للفضاء الداخلي وما يرتبط به من تعديل هيئة الفضاء الداخلي لتتناسب مع طبيعة الاستخدام الجديد، وعمق الفضاء وكثافته، بالإضافة إلى قيمة الضوء

من المصادر الأساسية مثل: الكتب والمجلات والمقالات ومصادر الإنترنت، إلى جانب الزيارة الميدانية والتوثيق بالتصوير وتسجيل الملاحظات المشاهدة. ثم يتم تحليل المعلومات المرتبطة بهذه المباني من خلال الأدبيات المختلفة إلى جانب التحليل المعماري والفضائي لمخططات هذه المباني.

جدول رقم (١). مقارنة دراسة الحالة

دراسة الحالة ٢	دراسة الحالة ١	المؤشرات
<p>Mosque of Cordoba / Santa Maria</p>	<p>Saint Nicholas Cathedral / Lala Mustafa Pasha</p>	
<p></p> <p>تم إزالة الجزء المركزي من المسجد وإقامة الكاتدرائية. ونصب المذبح والمنبر في الجانب الجنوبي الشرقي من قاعة الصلاة المركزية (Dodds, 1992). الداخل لجزء الكاتدرائية لا يرى التقاطع المعتاد في الكنائس الأوروبية حيث يقطع قسم الجوقة trascoro مشهد الداخل وتصبح جوانبه أروقة تقود إلى المنطقة المقدسة (Carmona, 1994) وبذلك تنتقل الأهمية من محور الشرق غرب لصالح محور الشمال جنوب (Street, 1865). نظمت الفعاليات من أربع أجزاء، المساحة المخصصة للعامّة، وجوقة الكنيسة، مرة أخرى مساحة للعامّة، ثم جزء الكهنة presbytery .</p>	<p></p> <p>أثناء تحويل الكاتدرائية إلى مسجد، تم إضافة محرابين إلى الجانب الجنوبي من الممر الجنوبي. المحراب الصغير مصنوع من الجبس وله زخرفة بسيطة، والآخر أكبر قليلاً تموضع في باب Lusignan الجنوبي. وضيف المنبر بين المحرابين.</p> <p></p>	<p>الاستخدام</p>

تابع جدول رقم (١). مقارنة دراسة الحالة

التعريف المكاني للفضاء	 <p data-bbox="794 734 1316 946">في أواخر القرن الرابع عشر، تم بناء مصليين متوازيين عند الحيز الخامس مع أبراج شبه دائرية وأقبية مضلعة، كما تم نحت منحنيات نصف دائرية شبه مقببه. كما أضيف مصلى إلى الحيز الجنوبي السابع من الممر (Gunnis,1973).</p>
 <p data-bbox="526 346 758 787">توصف قاعة الصلاة بأنها غابة من العناصر الرأسية (الأعمدة) حيث يوجد أكثر من خمسمائة عمود ترفع أقواس مزدوجة على شكل حدوة حصان تدعم السقف (Gerli & Armistead,2003).</p> <p data-bbox="247 798 758 1010">قسمت الأرضية إلى مستويين، حيث تم رفع المذبح عتبة واحدة. وتم تغطية قاعة الأعمدة Hypostyle بجملون ثلاثي، بينما كانت قاعة الصلاة الجديدة مغطاة بأقبية ذات أضلاع متقاطعة (Paúl,1995).</p>	 <p data-bbox="1149 1032 1316 1244">فضاء الكاتدرائية منتظم وفق المخطط البازليكي حيث يمتد صحن الصلاة وعلى جانبيه ممرين تنتهي في مصليات apsidal. يغطي صحن الكنيسة والممرات بقبو متقاطع في الأعلى (Walsh, 2004). تم تغطية الجدران بالحصن لإخفاء بعض اللوحات الجدارية (Walsh,2004).</p>
 <p data-bbox="526 1021 758 1351">يمتد فضاء الصلاة عميقاً في غابة من الأعمدة التي يصعب معها على الزائر إدراك المبنى ككل على الرغم من أنه قاعة واحدة للصلاة.</p> <p data-bbox="247 1372 758 1510">تتوجه قاعة الصلاة وظيفياً وفيزيائياً نحو الجنوب الشرقي. ويتجه السقف (الجملوني) عمودياً نحو جدار القبلة (Gerli & Armistead,2003).</p>	

تابع جدول رقم (١). مقارنة دراسة الحالة

 <p>في حين أن ارتفاع سقف المسجد منخفض نسبياً (حوالي ٣٨ قدماً)، فإن المساحة الداخلية المرتفعة بالكاتدرائية تشكل تباينا مذهلاً لنسب المسجد الذي يغلفه. وقد تم إضافة نوافذ على محيط الجزء الوسطي المرتفع من قاعة الصلاة. لقد سمحت النوافذ على البوابات بدخول كميات صغيرة من الضوء وخدمت غرضاً زخرفياً في الغالب. في حين كان المصدر الرئيسي للضوء هو الطرف الشمالي للمسجد الذي كان مفتوحاً على الفناء الخارجي، مما سمح للضوء بالتمدد داخل الفضاء ويتلشى في عمق المسجد.</p> 	 <p>الطرف الشرقي للكاتدرائية يتميز بنوافذه الطويلة والضيقة ذات الترتيب المزدوج (الواحدة تعلو الأخرى). كذلك تتموضع النوافذ على الجانبين الشمالي والجنوبي لها، وكان الجزء العلوي من صحن الكنيسة قد دمر أثناء الحصار واعداءه العثمانيون من دون زخارفه الأصلية واكتفوا بوضع ألواح الجبس المثقبة التي تزين في العادة المساجد التركية (Jeffery, 1983) هناك مدخلان افتتحا شمالي وجنوبي في القرن الخامس عشر، عند الحيز الرابع من الممرات، يعتبر الشمالي منها صلة وصل بين قصر الأسقف والكاتدرائية. (Bagiskan, 2009) تم إغلاق المدخل الجنوبي إما في عام ١٨٨٣ أو ١٨٩٦ تم فتح نافذة عوضاً عنه. وتقع الأبواب الثلاثة الرئيسية في الضلع الغربي ويعلوها شكل جملوني وترتفع نافذة كبيرة في الوسط (Walsh, 2004)</p>	افتتاحه الفضاء والإضاءة الطبيعية
--	---	---

٧. النتائج البحثية

لقد أظهرت الدراسة العملية للعينات المختارة مجموعة من النتائج التي يمكن من خلالها الوقوف على الدور الذي لعبته عملية تكييف الفضاءات الداخلية للمبنى للاستخدام

وتأثيرها على الفضاء الداخلي للمبنى. مستهدفةً الوقوف على أثر التعديلات التي استقر عليها المبنى على أداء الطقوس الدينية التي تجري ضمنها، مقارنة بطبيعة أداء الطقوس في المباني التي أنشئت في الأساس كنيسةً أو مسجداً.

في قلب الطقوس التي كان يجري بعضها وراء الجدران في الكنائس النمطية، وأصبح الرهبان يمرون من بين الناس للتنقل ما بين المحراب ومنطقة الجوقة.

ثانياً: نتائج قيمة التعريف المكاني للفضاء

في مسجد مصطفى باشا نُظِم حيز الصلاة إلى ثلاثة أقسام فضائية، القسم الخلفي الذي تحده الأعمدة (متمثلاً بالمر الشمالي)، والقسم الأوسط الذي يشكل صحن الكنيسة في السابق بارتفاعه المزدوج، والقسم الأخير هو القسم الجنوبي الذي حدد بارتفاعه عن باقي القسمين بعتبة واحدة (متمثلاً بالمر الجنوبي سابقاً)، وهذا التنظيم لحيز الصلاة لم يؤثر فعلياً على طريقة أداء الصلاة أو تسلسل الفعالية.

في مسجد قرطبة الذي حول إلى كنيسة سانتا ماري تمت إزالة خمسة صفوف من الأعمدة ونصب جدارين لتحديد فضاء الصلاة، وهذا سمح بتشكيل جزيرة وسط قاعة الصلاة تمثلت بمنطقة الجوقة. وأصبح الشكل الصليبي المعتاد للكاتدرائيات يكاد أن يكون غير محسوس بسبب ما فرضته عملية تكييف المسجد، ففضاء الصلاة معرف من خلال موقع المحراب ومنطقة الجوقة ذات الجدران المرتفعة، بينما تتلاشى المنطقة المحيطة بهما بين أعمدة المسجد التي تمتد في كل الاتجاهات، هذه التركيبة فرضت على الزوار استخدام المحور الشمالي الجنوبي للكنيسة عوضاً عن المحور الغربي الشرقي المعتاد.

الديني الجديد على الطقوس الدينية التي تجري خلالها.

أولاً: نتائج قيمة الاستخدام

فعلى صعيد قيمة الاستخدام نجد أنه على الرغم من أن المبنى لا يزال يقوم بوظيفة دينية إلا أن عملية التكييف أثرت بدرجات متفاوتة على أسلوب أو طريقة الأداء الوظيفي للمبنى، فعملية تحويل كنيسة سانت نيكولاس إلى مسجد رافقها تكييف استخدام المبنى من خلال تحديد جهة القبلة وإضافة المحراب الدال عليها، كما نتج عن ذلك وجود الإمام على دكة مرتفعة عن باقي المصلين الذين يصطفون وراءه، وهو ما لم يكن معهوداً في النمط الأساس للمساجد الإسلامية.

بينما نجد أن تكييف مسجد قرطبة بهدف أدائه وظيفته الكاتدرائية سبب تغيرات جوهرية في أسلوب وطريقة ممارسة الطقوس الدينية فيها، حيث إن إنشاء قاعة صلاة الكنيسة وسط المسجد نتج عنه فصل جوقة الكنيسة والمكان المخصص للرهبان عن المحراب (منطقة القداس)، حيث شغل المحراب المنطقة الشرقية، بينما وضعت الجوقة في الجهة الشرقية من قاعة الصلاة، بينما كانت الكاتدرائيات تجمع بينهما في حيز واحد (أقصى الشرق) وتحتفي الجوقة بعيداً عن الأنظار، ولا يصل إليه إلا رجال الدين. توّلد عن هذا التكييف للوظيفة الكاتدرائية أن أصبح الناس يجلسون فيما بين القداس والجوقة وغدوا

ثالثاً: نتائج قيمة العمق الفضائي

العمق الفضائي للكاتدرائية تم من خلال تدخل كبير جداً على البناء الأصلي للمسجد، ومع ذلك لم ينجح إلا في إيجاد جزيرة وسط عمق المسجد، حيث لن يستشعر المصلي وجوده وأداء طقوسه إلا إذا وقف في الحيز الذي يقطع منطقة القديس عن منطقة الجوقة.

رابعاً: نتائج قيمة انفتاحية الفضاء والإضاءة الطبيعية:

لقد أصبح من المعلوم أهمية الضوء الطبيعي في المباني الدينية وارتباطاته الفكرية والثقافية والطقسية؛ لذلك تم التحكم به وتوجيهه من خلال الفتحات التي تخترق الجدران. في مسجد مصطفى باشا تم إجراء بعض التعديلات الضرورية لتناسب مع الوظيفة الجديدة للمبنى، حيث تم غلق الباب المؤدي إلى المصلى الجانبي الصغير chapels وإنشاء حنية المحراب عوضاً عنها، كما تم استبدال الزخارف الأصلية للنوافذ الزجاجية الملونة بالزخارف المربعة المخرمة التي غطت العديد من فتحات النوافذ مع استخدام الزجاج غير الملون.

ونظراً للأهمية الكبيرة لنسق الإضاءة في الكاتدرائيات فقد تم إضافة صف من النوافذ العلوية فوق مستوى سطح مسجد قرطبة أثناء تحويله إلى كاتدرائية سانتا ماريا من الجانبين، حيث تم رفع الجدران المحيطة بمصلى الكاتدرائية فوق مستوى ارتفاع المسجد لتسمح بعمل نوافذ على جانبيه وفي جهة المحراب بما

في مسجد مصطفى باشا فرضت عملية التحويل أن يتم تغيير مدخل قاعة الصلاة ليكون من الضلع الجانبي للقاعة (الضلع الغربي) عوضاً عن موقعه المعتاد في الضلع المقابل للقبلة، هذه العملية جعلت من التوجيه الفضائي لعمق المسجد يمتد من الغرب للشرق بالنسبة للداخل عوضاً عن امتداده باتجاه القبلة، على الرغم من وجود إمكانية لفتح باب لقاعة الصلاة في الضلع الشمالي إلا أن عملية التكييف اكتفت بإجراء الحد الأدنى الضروري لأداء فعالية الصلاة. وتمت عملية تنظيم الدخول لقاعة الصلاة من خلال استخدام مدخل واحد فقط، وهو المدخل الذي يقع في الشمال الغربي ليتمكن المصلون من الدخول من الصف الأخير ثم التقدم باتجاه الصفوف الأولى. وبذلك تم استثمار ميزة العمق الفضائي الذي وفره المنظور محدد المعالم في ممر الكنيسة السابقة لتنظيم حركة الأشخاص الداخلين للمسجد.

في كاتدرائية سانتا ماريا يسيطر المنظور الممتد باتجاه الكعبة على الشخص الداخل للكنيسة ولا يستطيع تحديد اتجاه الشرق والغرب (الكنسي) إلا لدى مروره بين منطقة القديس وحيز الجوقة، ليكتشف عندها الاتجاه الصحيح من خلال العلاقة البصرية الممتدة بين الحيزين ووجود سقف الكنيسة الذي أنشئ ليكون أعلى من سقف باقي المسجد وليسمح بربط الفضاءات من تحته من الشرق إلى الغرب. فعملية تعريف

للطقوس. وقد أظهر هذا البحث:

- أن عملية التحول كان لها عواقب على ممارسة الطقوس الدينية للكاتدرائيات بشكل رئيس، حيث أدت عمليات تكييف استخدام مسجد قرطبة إلى تداخل حركة الكهنة مع المصلين نتيجة جلوس المصلين في المساحة التي فصلت المذبح عن موقع الجوقة Trascoro وهذا جعل الكهنة أقرب للمصلين، كما أصبح هذا الترتيب بحسب كروسن (Kroesen, 2009)، نمطاً منتشراً في كنائس إسبانيا عموماً واختلفت فيه عن ترتيب أماكن ممارسة الطقوس في الكنائس الأوربية حيث تختفي الجوقة وراء المذبح وتشكل جزءاً منه، ويمتد فيها النظر من المدخل باتجاه المذبح ولا يجبه أي جزء معماري، كما هو الحال في وجود حيز الجوقة في الكنائس الإسبانية التي تقطع النظر نتيجة وجودها في الصحن الشرقي منفصلة عن حيز المذبح.

- أن عملية تكييف الفضاء الداخلي للمسجد أثناء تحويله إلى فضاء كنسي قام على أساس محاولة نقل المخططات نفسها وهيئة المعرفة للكاتدرائيات في قلب المساجد المحولة أو على أساسها، وهذا ما قد يتوافق مع استشهاد Gjerde بالكنائس بوصفها مثالاً ممتازاً على كيفية تأثير ارتباطات القيمة الاجتماعية لبعض أساليب البناء على كيفية تفضيل الناس لوجود أشكال معينة أكثر من غيرهم (Gjerde, 2011). ومع ذلك، يمكن ملاحظة أن الأماكن التي أنتجت هنا كما

سمح للضوء أن يمتد إلى عمق قاعة الصلاة. وعُد هذا تعديلاً جوهرياً على طبيعة الفتحات ومدى نفاذ الإضاءة للفضاء الداخلي للمبنى، إذ كان المسجد في الأصل ذا إضاءة خافتة تتلاشى مع الدخول في عمق المسجد. وعلى الرغم من هذا التعديل الذي أدخل على بنية المسجد لتحقيق الجو نفسه المعهود في الكاتدرائيات؛ إلا أن هذا التعديل ساهم بشكل قوي في خلق بقعة (جزيرة) صغيرة ضمن فضاء المسجد، بمعنى آخر عزز انفصال بنية الكاتدرائية عن المسجد بالرغم من أنها واقعة في وسطه.

٨. الاستنتاجات

ركز البحث على دراسة تكييف المباني الدينية ممثلة بالمساجد والكنائس التي حولت وظيفة أحدها للآخر مركزاً على القيم المعمارية لهذه العملية، إذ يشير Cantacuzino إلى أن المباني دائماً ما تتكيف مع الاستخدامات الجديدة؛ لأن بنية المبنى تميل إلى الصمود لفترة أطول من وظيفتها (Cantacuzino, 1989). وقد استخدمت أمثلة من تركيا وإسبانيا بوصفها دولتين ضمّتا أشهر المباني التي تعرضت لمثل هذا التحول، كدراسة حالة سمحت في التعمق في أثر عمليات تكييف الاستخدام التي أجريت على المبنى على الأداء الوظيفي للطقوس الدينية التي تجري ضمنها، بما يساهم في تكوين فهم شامل لأثر عمليات تحويل المباني الدينية الواقعة في منطقة البحر الأبيض المتوسط على الأداء الوظيفي

التي أصبحت سمة للمساجد في تركيا لاحقاً وهي رفع أرضية المحراب باتجاه القبلة والمنطقة المحيطة به لتصبح بارتفاع أرضية محراب الكنيسة الذي كان في العادة يرتفع عن صحن الكنيسة، لم تترك أثراً على فعالية الصلاة بحد ذاتها ولا على ترتيب وعلاقة الإمام بالمصلين.

● إن عملية تكييف الكنائس للقيام بوظيفة المسجد لم تُقم على التدخل القسري الذي يطال بنية المبنى وإنشائه عن طريق إزالة مبنى والبناء فوق أساسه، أو إقحام مبنى (هيكل) على مبنى كما حصل في حالة تحويل مسجد قرطبة إلى كاتدرائية، فقد اكتفى المسلمون بإجراء الحد الأدنى الضروري لأداء فعالية الصلاة، وهذا ما يمكن تفسيره في ضوء رؤية الإسلام بعدم وجود قدسية للبناء بحد ذاته وتعامله مع مبنى الكنيسة بوصفه غلافاً يشكل حدوداً مكانية قوية تؤهله لإعادة الاستخدام، وهذا يتوافق مع المفهوم الحديث المعروف بالاستدامة البيئية (Pri-hatmanti & Bahauddin, 2012). كما توافق بعض إجراءات عملية التحويل هذه ومنها تغطية الرسومات والتفاصيل غير المتوافقة مع تعاليم الدين الإسلامية بالجلس؛ مع المفهوم الحديث للحفاظ على المباني، حيث يشير Elkerdany إلى أنه ينبغي الاحتفاظ بهيكل المبنى وشخصيته وهويته الأصلية للأجيال القادمة (Elkerdany, 2002) وهو ما يمكن ملاحظته في الكنائس التي حولت إلى مساجد.

في حالة كاتدرائية سانتا ماريا (التي تم فيها إزالة مجموعة من صفوف الأعمدة لزراع الشكل الصليبي المعتاد للكاتدرائيات) هي عبارة عن مساحات هجينة، تظهر بوصفها شيئاً منفصلاً عن أصوله نتيجة للصراع المحتمل بين تقاليد البناء.

● رافق عملية التحول هذه تغيير نسق توزيع الإضاءة للفضاء الداخلي من خلال إدخال الضوء إلى قلب الفضاء الداخلي لمسجد قرطبة المحول لكاتدرائية سانتا ماريا، نظراً للأهمية الكبيرة لنسق الإضاءة في الكاتدرائيات. وعُد هذا تعديلاً جوهرياً على طبيعة الفتحات ومدى نفاذ الإضاءة للفضاء الداخلي للمبنى.

● وبخلاف ذلك نجد أن عملية تحويل الكنائس إلى مساجد لم تؤثر بشكل مباشر على طبيعة أو طريقة ممارسة الطقوس الدينية أو علاقة الإمام بالمصلين، وتم الاكتفاء بالقليل من التعديلات الهيكلية على عمارة الفضاء الداخلي (مقارنة بما حدث في عمليات تحويل المساجد إلى كنائس)، حيث تمت عملية إعادة توجيه الأشخاص للقبلة من خلال تحديد أبواب الدخول للفضاء الداخلي من دون إضافة أبواب جديدة للمبنى على الرغم من وجود إمكانية لفتح باب لقاعة الصلاة في الضلع الشمالي ليقابل موقع المحراب، وهكذا بقي التوجيه والعمق الفضائي يمتد من الغرب للشرق بالنسبة للداخل عوضاً عن امتدادها باتجاه القبلة. وحتى الإضافة

Arabic References:

- Abu Dayyeh, Nabil.** «From the thought of Falter Benjamin for Cinema and Architecture», Arabic philosophical Journal, 5, (2, 1), (1997)
- Al-lawati, Ali.** Toward a Theory of Islamic esthetics, Arab Islamic Art, Arab Educational, Cultural Organization, Tunis (1994).
- Dbor, Muhammad Ali.** «Controls on the conversion of churches to mosques in Islamic history», <https://kenanaonline.com/users/mohammeddabbour/posts/712602>, (2015).
- Ghalib, Abdul Rahim.** Islamic Architecture Encyclopedia, Beirut, Gross (1988).
- Mohamed H., Nubi.** The building of mosques in the light of the Qur'an and Sunna, Cairo, Dar Nahda Al Sharq, (2002).
- Salim ,Alysd Abdelaziz.** «Mosques and palaces in Andalusia», Alexandria, , University Youth Foundation, (1986).
- Waziri, Yahya.** Al-Omaran and Al-Bneyan in the perspective of Islam, Kuwait, Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, (2008).

English References:

- Akkach, S.** «The «Wholly Other»: On the Spatiality of the Holy in Islam, Architectural Theory Review», Journal of the Department of Architecture, the University of Sydney, 8, (2), (2003), 41-58.
- Alsayyad, N.** «Hybrid Urbanism», Identity Discourse and the Built Environment, Praeger, London, (2001).
- Ander, G.D.** Daylighting performance and design, Wiley, (2003).
- Antonakaki, T.** «Lighting and spatial structure in religious architecture: a comparative study of a Byzantine church and an early Ottoman mosque in the city of Thessalonik», 6th International Space Syntax Symposium, İstanbul, (2007).

٩. المراجع**المراجع العربية:**

- أبودية، نبيل. «من فكر فالتر بنيامين للسنيما والعمارة»، المجلة الفلسفية العربية، ٥(٢)، (١)، الأردن، الجمعية الفلسفية العربية، (١٩٩٧).
- دبور، محمد علي. «ضوابط تحويل الكنائس إلى مساجد في التاريخ الإسلامي»، <https://kenanaonline.com/users/mohammeddabbour/posts/712602>، (٢٠١٥).
- سالم، السيد عبد العزيز. «المساجد والقصور في الأندلس»، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (١٩٨٦).
- غالب، عبد الرحيم. «موسوعة العمارة الإسلامية»، بيروت، جروس، (١٩٨٨).
- اللواتي، علي. «نحو نظرية للجماوية الإسلامية»، الفن العربي الإسلامي، المنظمة العربية للتربية، والثقافة، تونس، (١٩٩٤).
- محمد حسن، نوبي. «عمارة المساجد في ضوء القرآن والسنة»، القاهرة، دار نهضة الشرق، (٢٠٠٢).
- وزيري، يحيى. (٥) العمران والبنيان في منظور الإسلام»، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (٢٠٠٨).

- Frishman, M., & Khan H.** “The Mosque: History, Architectural Development & Regional Diversity”, Thames & Hudson, (2002).
- Gade, J. A.** “Cathedrals of Spain”, <http://www.gutenberg.org/ebooks/31966>. (2010).
- Gerli, E. M., & Armistead S. G.** “Medieval Iberia”, Taylor & Francis, 1,(7), (2003), 586.
- Gjerde, M.** “Visual evaluation of urban streetscapes: How do public preferences reconcile with those held by experts”. *Urban Design International*, 16,(3),(2011), 153-161.
- Grabar, O.** “The Formation of Islamic Art”, Istanbul: Yapi Kredi, (1998).
- Güney, Y.** “Appropriation and Authenticity: The case of Transforming Churches into Mosques in Ayvalık”, *International Journal of Architecture & Planning*, 4,(2), (2016), 35-57.
- Gunnis, R.** “Historic Cyprus”, London: Methuen and Co. LTD. (1973).
- Hanson, J.** “Decoding Homes and Houses”, Cambridge, Cambridge University Press, (2003).
- ICOMOS.** “The Burra Charter”, Austria: Burwood, (2013).
- Jeffery, G.** “A Description of the Historic Monuments of Cyprus”, London, ZENO Booksellers & Publishers, (1983).
- Kiley, C. J.** “Convert: Adaptive reuse of Churches”, Master in City Planning, Massachusetts Institute of Technology, Cornell University, (2004).
- Kleinbauer, W. E., & White A.** “Hagia Sophia”, London: Scala Publishers LTD. (2004).
- Krier, R.** “Architectural Composition”, London, Academy Additions, (1988).
- Kroesen, J.E.A.** “Staging the Liturgy”, Louvain/Paris, The Medieval Altarpiece in the Iberian Peninsula, (2009).
- Kurtich, J., & Eakin G.** “Interior Architecture”, New York, Van Nostr and Reinhold,(1993).
- Arnheim, R.** “Art and Visual Perception: A psychology of the creative Eye”, University of California Press, (1974).
- Bagiskan, T.** “Ottoman Islamic and Islamised Monuments in Cyprus, Lefkosa”: Cyprus Turkish Education Foundation, (2009).
- Barrie, T.** “Spiritual Path, Sacred Place: Myth, Ritual, and Meaning in Architecture”, Boston, Shambhala, (1996).
- Cantacuzino, S.** “ReArchitecture: Old Buildings, New uses”, Thames and Hudson, (1989).
- Carmona, C. J.** “Los trascoros de las catedrales espanolas: Estudio de una tipologia Arquitectonica”, Murcia, (1994).
- Dodds, J. D.** “Al-Andalus: The art of Islamic Spain. Metropolitan Museum of Art”, (1992).
- Elkerdany, D.** “Innovation and conservation: Case studies in intervening with valuable buildings”, First international conference of the UIA-WPAHR-V on Architecture & Heritage as a Paradigm for Knowledge and Development: Lessons of the Past, Alexandria, New Inventions and Future Challenges, (2002).
- Enlard, C.** “Gothic Art and Renaissance in Cyprus”, London, Trigraph LTD (1987).
- Feilden. B. M.** “Conservation of Historic Building”, London, Reed Educational and Professional Publishing Ltd, (1994).
- Fidel, R.** “The Case Study Method: A Case Study, Library and Information Science Research”, *An International Journal*, 6, (3),(1984),273-88.
- Folda, J.** “Crusader art in the holy land, from the third Crusade to the fall of Acre” (illustrated, reprint ed., Vols. Volume of Crusader art in the holy land, from the third Crusade to the fall of Acre, 1187-1291). Cambridge University Press. (2005).
- Franck, K. A., & Lepori, R.B.** “Architecture Inside out”, London, John Wiley and sons Ltd. (2000).

- Plummer, H.** "Building with Light", *Architecture Design*, 67, (3/4), (1997), 16-17.
- Porter, T.** "The Architect's Eye; visualization and depiction of space in architecture", London, E and FN spon, (1997).
- Prihatmanti, R., & Bahauddin A.** "Impacts of adaptive reuse in the UNESCO listed heritage buildings", George Town, Penang, (2012).
- Proshansky, H., & Fabian A.** "Place-Identity: Physical World Socialization of the Self", *Journal of Environmental Psychology*, 3,(1), (1983), 57-83.
- Reverson, F.O.** "Developing spatial configuration abilities coupled with the space syntax theory for first year architectural studies", *Proceedings of the 7th International Space Syntax Symposium*, Stockholm, Sweden, (82),(2009), 1-10.
- Ricoeur, P.** "History and truth", Northwestern University Press, (1965).
- Ryan, R. P.** "The Catholic collection: 734 Catholic essays and novels on authentic Catholic teaching", A visit to a Catholic Church, Catholic Way Publishing,(2014), 1-7.
- Schulz, N.** "Meaning in Western Architecture", New York, Praeger Publishers, (1980).
- Stegers, R.** "Sacred Buildings", , Germany, Birkhäuser Verlag AG, (2008).
- Street, G.E.** "Some Account of Gothic Architecture in Spain", London, John Murray, (1865). <https://ia801406.us.archive.org/13/items/someaccountofgot1865stre/someaccountofgot1865stre.pdf>
- Unwin, S.** "Analyzing Architecture", USA, Routledge, (1997).
- Voordt, T., Vrieling, D., & Wegen, H.** "Comparative floorplan-analysis in programming and architectural design", *Design Studies*, 18, (1), (1997), 67-88.
- Walsh M.** "Saint Peter and Paul Church (Sinan Pasha Mosque), Famagusta: A Forgotten Gothic Building", London, Hardback Publication, Volume 1&2. (2000).
- Latham, D.** "Creative Re-use of Buildings", London, Hardback Publication, Volume 1&2. (2000).
- Lomax, D. W.** "The Reconquest", Prentice Hall Press, (1978).
- Londin, R.** "A Future for Church Buildings": Report by the Church Heritage Forum, from www.churchofengland.org/media/1262648/gsl514.pdf. (2004).
- Lueg, R.** "Approaches to the Adaptive Reuse of Churches in Germany and the United States", School of Architecture, Planning and Preservation, University of Maryland, (2011).
- Malnar, J. M., & Vodvarka F.** "The Interior Dimension: A theoretical approach to Enclosed space", New York, Van Nostrand Reinhold,(1992).
- Mazumdar, S.** "Religion and Place Attachment: A Study of Sacred Places". *Journal of Environmental Psychology*, 24,(3),(2004), 385-397.
- McNamara, D. R.** "Catholic Church architecture and the spirit of the liturgy". Liturgy Training Publications, (2009).
- Meiss, P. V.** "Elements of Architecture from form to place", New York, Routledge,(1998).
- O'Callaghan, J. F.** "A History of Medieval Spain", New York, Cornell University Press, (1983).
- O'Callaghan, J.F.** "Reconquest and Crusade in Medieval Spain", University of Pennsylvania Press, (2003).
- Ousterhout, R. G.** "A Byzantine settlement in Cappadocia", *Dumbarton Oaks studies*, Dumbarton Oaks, (42),)2005(, 156.
- Paúl, T. L.** "Córdoba", *Guías Artísticas*. Tf. (1995).
- Phillips, D.** "Daylighting: Natural Light in Architecture", Architectural Press, (2004).
- Pite, A.R.** "Church architecture: its proper relation to simple Christian worship", Autumn conference of the Church association, 5-6 Nov. Derby. (1878).

ic Moment in Northern Cyprus”, *Inferno*, 4,(1), (2004), 1-8.

Yildiz N. “The Vakf Institution in Ottoman Cyprus”, In: Michael M. N., Kappler M., Gavriel E. *Ottoman Cyprus*, Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, (2009), 117-161.

The Impact of Adaption of Converted Religious Buildings on the Architectural Values of the Interior Space and the Religious Rituals Performed in the Space

Udai Ali Salih

College of Arts & Science - Department of Design and Arts - Kingdom of Bahrain

udai.al-juboori@asu.edu.bh / udai_juboori@yahoo.com

Received 3/11/2019 ; accepted for publication 19/1/2020

Abstract. Mosques and churches that were left by Muslims and Christians are considered among the most important heritage buildings. A number of those buildings were converted and adapted for reuse, during the successive invasions that occurred between the Islamic East and the Christian West, due to the different values of the two cultures. Those modifications took the form of adjustments to the existing religious building. This endowed the buildings a sense of continuity and belonging to their new cultural context, as well as becoming long-lasting landmarks and a reminder of meaning and identity. This research focuses on the 16th Century which witnessed the culmination of the process of converting mosques to churches, and vice versa, during different eras in the Mediterranean basin. Alterations done to the interior architecture of those buildings range from almost complete preservation to full replacement. This research explores the impact of such transformations on the religious rituals practiced within the spaces of these converted buildings. The results of the analysis of the case studies showed a change in the practice of the religious rituals in these buildings according to the modifications done to the interior architecture. This highlights the role of architecture as a conveyor of culture and traditions of the society.

Key words: Adaption, Convert, Interior Space, Religious Buildings.